بسم الله الرحمن الرحيم

تدرّج أم تسويف؟!

من حِيَل النفوس البشرية أنها تسمي الأشياء بغير اسمها لتجنب تأنيب الضمير وعيب الناس، وإن أناسا ضعفت قواهم وركنت للدنيا نفوسهم فثقلت عليهم التكاليف الشرعية والمصالح المرعية – ورأسها مصلحة التوحيد– ورأوا أنهم قد تسنموا السيادة باسم الدين، فإن هم خالفوا الدين صراحة ذهبت دنياهم قبل أخراهم، فاضطروا إلى شر الأعمال وأخبثها عند الله:

(يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُون * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) [سورة البقرة: 9–10].

من ذلك تسميتهم تنحية الشريعة والحكم بشرع الطاغوت (تدرجا)!! وربما كانت (حاضنة شعبية)!! وللأسود عرين وللدجاج حواضن!! فلا تعجب حين تخرج للدنيا أجيال وتخرج منها أجيال لا في العير ولا في النفير، يدخلونها في الدوامة والمعادلة الصعبة ثم لا ظهرا أبقوا ولا أرضا قطعوا.

حينما نرى حياة محمد صلى الله عليه وسلم نراها جدا في جد، قال له رب العزة: (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) [سورة هود: 113]، حسم ووضوح.

نزلت من أجل رجل مسكين أعمى سورة كاملة وعتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن قدم أسياد قريش عليه!!

يفتح رسول الله مكة، والناس حديثٌ عهدهم بإسلام فيطبق حكم الله ويقطع يد السارقة.

تدرج التشريع ولم يتدرج التطبيق!! (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) [سورة المائد: 3].

كثيرا ما يكون أصحاب التنظير من أقل الناس عملا! وهذه الصفة ذميمة منهي عنها (لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ) [سورة الصف: 2]، وهي من أدواء النفوس البشرية التي ليس لها علاج سوى الخوض في معترك الحياة وتنزيل الآي على الأرض، والجمع بين القول والفعل عزيز (لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ) [النساء: 84].

حين ينظر القوم أن عهدهم عهد مكي فإنهم لا يعنون –بالضرورة– التدرج في الدعوة لا! ولكن لينفوا عن كواهلهم الأعباء والتكاليف والصدع، وإلا أين حالهم من حال محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذي ما جاء أحد بمثل ما جاء به إلا أوذي!

إن أصحاب العباءات الحريرية لا عدوا دفعوا ولا دينا نصروا! وقد سئمت الأمة من دعاواهم العريضة وشعاراتهم البراقة وحان وقت الفعل لا الكلام، إن جرائم هؤلاء لم تعد محصورة في مثل ذلك؛ بل تعدوه إلى صرف أنظار الناس عن أصول الديانة (التوحيد والشرك والولاء والبراء...) إلى ما هو دون الحرام بل المكروه فصار اهتمام المتدينين منهم (قيادة المرأة للسيارة وتأنيث المحلات...) مما هو تابع للمصلحة الشرعية.

وللأسف أن طبيعة النفس البشرية هو ما قاله المتنبي (لكل امرئ من دهره ما تعودا)، فصعب على أمثال هؤلاء التحول من النعمة الفانية والرجوع إلى شعب أبي طالب، أو أن يربطوا على بطونهم حجرا من الجوع، أو أن تغبر لحاهم من حفر الخندق بله أن تدمى أبشارهم أو تكسر ثناياهم، وتالله إن هذا لهو طريق الدعوات لا طريق سواه، ولنا في الواقع خير برهان فعندنا "لعبة" مرسي الديمقراطية وطريق الدولة الإسلامية –أعزها الله–.

من أين أبدأ والحديث غرام

فالشعر يقصر والكلام كلام

يا حسرة السيف الذي لم ينعتق

من غمده والمكرمات تضام

دعوة وأمر بمعروف ونهي عن منكر ومحاكم شرعية، عمرت المساجد وعلا شأن الدين ودفعت النصارى الجزية لأول مرة بعد قرون متطاولة، دمعت عيون الموحدين فرحا وغبطة برفع شعار الدين واندحار الشرك والمشركين ورددوا (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) [سورة النصر: 1]، فهذا سبيل المؤمنين، وذاك طريق الغاوين.

كتبه

أبو إياس المغربي